

فلسفة الثورة الجزائرية عند البخاري حمانة:

من السرد التاريخي إلى المفهوم الفلسفي

*The Philosophy of the Algerian Revolution According to
Boukhari Hamana: From Historical Narrative to Philosophical
Concept*

عائشة دريزي*	فلسفة	جامعة وهران 2 – محمد بن أحمد – (الجزائر)
drizi.aicha@univ-oran2.dz		
رشيدة صاري	فلسفة	جامعة وهران 2 – محمد بن أحمد – (الجزائر)
sari.rachida@univ-oran2.dz		
تاريخ الإرسال: 2025-06-24	تاريخ القبول: 2025-12-26	تاريخ النشر: 2025-12-31

ملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية القراءة الفلسفية للثورة الجزائرية من منظور المفكر الجزائري البخاري حمانة الذي يتجاوز القراءة التاريخية التقليدية التي حصرت مفهوم الثورة في سردها الوقائعي كحدث سياسي وعسكري، إذ يرى البخاري حمانة في الثورة نصاً فلسفياً ذا أبعاد كونية وإنسانية، وتجربة وجودية يتفاعل فيها الفكر مع الفعل لتتحول إلى مسار مستمر من الوعي بالذات وبمفهوم الحرية والتحرر والانعتاق من مختلف أشكال السلطة التي مارسها الاستعمار الفرنسي ليس فقط على الأرض، بل على سؤال الهوية والثقافة والتاريخ. من هذا المنظور، يقدم فكر البخاري حمانة رؤية فلسفية معاصرة تعيد إدراج الثورة الجزائرية ضمن أفق البعد العالمي ونقلها من السرد التاريخي الضيق نحو أفق المفهوم الفلسفي الكوني، لتصبح نموذجاً عملياً لفهم الماضي والراهن واستشراف المستقبل وعيش تجربة التحرر وبناء الوعي الإنساني.

الكلمات المفتاحية: فلسفة الثورة، البخاري حمانة، البعد الكوني، الاستعمار، الهوية، الذاكرة

Abstract:

This research paper addresses the philosophical reading of the Algerian Revolution from the perspective of the Algerian thinker Bukhari Hamana, who transcends the traditional historical reading that limited the concept of the revolution to a factual narrative as merely a political and military event. Bukhari Hamana views the revolution as a philosophical text

* الباحث المُرسل: drizi.aicha@univ-oran2.dz

with cosmic and human dimensions, and an existential experience where thought interacts with action. It transforms into a continuous path of self-awareness and understanding of the concepts of liberty, liberation, and emancipation from various forms of authority exercised by French colonialism—not only over the land but also over questions of identity, culture, and history.

From this perspective, Bukhari Hamana's thought offers a contemporary philosophical vision that reinserts the Algerian Revolution within the horizon of a global dimension. It shifts the revolution from a narrow historicist narrative toward the horizon of universal philosophical concepts, making it a practical model for understanding the past and the present, anticipating the future, and living the experience of liberation and the construction of human consciousness.

Keywords: Philosophy of Revolution, Bukhari Hamana, Cosmic/Universal Dimension, Colonialism, Identity, Memory.

1. مقدمة:

تُعدّ الثورة الجزائرية (1954–1962) من أبرز الأحداث الثورية في القرن العشرين إذ لم تكن مجرد تمرّد مسلّح ضد الاحتلال الفرنسي، بل لحظة تاريخية فارقة أفرزت مسارات فكرية وحضارية شديدة التعقيد، جعلت منها مُلهمةً للعديد من المفكرين والفلاسفة والمؤرخين الذين سعوا إلى مقاربتها من زوايا متعددة. منها ما هو سياسي عسكري، ومنها ما هو اجتماعي ثقافي، ومنها ما هو تاريخي وقائعي، حيث غلب على أغلب هذه المقاربات الطابع السردى والتوثيقي الذي شكّل المرحلة الأولى من حفظ الذاكرة الجماعية للجزائريين، وبناء هوية وطنية على أساس تاريخي راسخ. غير أن هذه القراءات، على أهميتها بقيت حبيسة لأفق التاريخ التقليدي، ولم تلامس بما يكفي الطابع المفهومي والأنطولوجي للثورة، أي بعدها الجوهرى بوصفها فعلاً يتجاوز الظرفي والوقائعي صوب الكوني.

في هذا السياق، يبرز المفكر الجزائري البخاري حمانة كأحد المفكرين الذين قاربوا الثورة الجزائرية من زاوية فلسفية، ليس لأجل إعادة قراءة الحدث التاريخي، بل إلى مساءلته والغوص في معانيه وتجلية مفاهيمه الكونية، والتفكير فيه باعتباره تعبيراً عن وعي وجودي متجاوز للزمان والمكان. فبالنسبة للبخاري حمانة، لم تكن الثورة مجرد حلقة من حلقات التحرر للشعب الجزائري، بل لحظة أنطولوجية فارقة تؤسس لفهم جديد للذات،

وللكرامة، وللحرية، وللآخر في ذات الوقت. إنها ثورة تنفتح على أفقٍ فلسفي يُؤهلها لتصبح نصاً قابلاً للتأويل، نصاً يُسهم في بناء أنطولوجيا للمقاومة، وإيتيقا للكرامة والحرية. انطلاقاً من هذه الرؤية وهذا التصور، تسعى هذه الورقة البحثية إلى استجلاء الأسس الفلسفية التي وظفها البخاري حمانة في تحليله للثورة الجزائرية وذلك من خلال مسألة المتن الحماني، ومحاولة فهم الكيفية التي تحوّل فيها الحدث التاريخي إلى مفهوم فلسفي يتجاوز الأفق المحلي، ليشكل مساهمةً جزائريةً أصيلةً في الفلسفة المعاصرة. فتكون الاشكالية التي ننطلق منها في هذا المقال: هل تُجسد قراءة البخاري حمانة للثورة الجزائرية فعلاً فلسفياً يتجاوز الحدث التاريخي المحلي وكيف تُعيد هذه القراءة تشكيل المفاهيم الأساسية للذات والكرامة والحرية، وإلى أي مدى تساهم في بلورة أنطولوجيا كونية للثورة؟

تقوم الدراسة على منهج نقدي تحليلي، يركز على استكشاف الأبعاد الأنطولوجية للثورة الجزائرية من خلال قراءة تفكيكية لنصوص البخاري حمانة بهدف تجاوز البعد التاريخي السردي، واستكشاف كيفية تحول الثورة إلى فعل ووعي وجودي يعيد تشكيل الذات والهوية في أفق كوني مستمر.

2. الفلسفة والثورة: من الحدث التاريخي إلى المفهوم الفلسفي

يتعامل البخاري حمانة مع الثورة الجزائرية كحدث كاشف، يفكك من خلاله البنى المعرفية والسياسية التي فرضها الاستعمار الفرنسي، ليعيد من خلالها تشكيل العلاقة بين الفرد والتاريخ، وبين الجماعة والسلطة، وبين الذات والآخر. فالثورة في فكره ليست فعلاً ماضوياً يُستذكر، بل فعلاً مستمراً يُعاد تأويله ويُستحضر في كل منعطف وجودي وسياسي تعيشه الأمة الجزائرية أو الإنسانية جمعاء. وبالفعل يمكن القول «إن الحروب والثورات قد حددت اليوم ملامح القرن العشرين، كما لو أن الأحداث لم تفعل سوى الإسراع بتحقيق نبوءة لينين المبكرة.» (آرنت، 2008، صفحة 13). بهذا المعنى، تتحول الثورة إلى أفهوم فلسفي كوني، يتجاوز الجغرافيا والتاريخ، ويستبطن لحظة خالدة في الوجود، يلجأ إليها الإنسان كلما كان في حاجةٍ إلى إعادة تأسيس ذاته من جديد أمام منظومات القهر والاستلاب.

يتبدى لنا ابتداءً سؤال جوهري في كل مقاربةٍ فلسفيةٍ تتناول الثورة الجزائرية والمتمثل فيما هي الأسس الفلسفية التي قامت عليها الثورة الجزائرية؟ لا يُطرح هذا السؤال بهدف

استنطاق السردية التاريخية للكشف عن مضامينها الفلسفية فحسب، بل يُراد به أيضاً تحرير الثورة من قيدها الزماني والمكاني لتتحول من حدث وطني خاص إلى مفهوم فلسفي كوني ومنواعة سياسية إلقوة رمزية حيّة تُشكل الحاضر وتفتح إمكانات المستقبل. بهذا المعنى، لا يُنظر إلى الثورة كمجرد تراث سياسي، بل كنص وجودي عابر لشرطية الزمان والمكان يستدعي التأمل والتفكير من قبل الذات الجزائرية في سعيها اللولبي لإعادة تعريف ذاتها وهويتها من جديد، وكأن الثورة الجزائرية تحمل بداخلها حركةً داخلية تستولد الجدل اللانهائي عبر كل لحظة وحين.

فإذا كانت الفلسفة من منظور البخاري حمادة هي «تلك النظرة المتميزة والنقدية للعالم أي الواقع، والهادفة بالتالي لا إلى مجرد تأمله ... بل إلى إعادة صنعه من جديد» (البخاري، 2005، صفحة 31)، فإن ذلك يجعلنا أمام مفهوم مختلف للتاريخ، وقراءة جديدة للثورة تتجاوز الحدث التاريخي نحو تأسيس مفهومي تحرري من كل أشكال السلطة التاريخية واللغوية وحتى المفهومية ذاتها بوصفها نظرة نقدية للعالم وللمنتج الإنساني، بما في ذلك التاريخي ذاته وتخليصه مما ليس منه والتوغل في نصوصه وأحداثه لاستنطاق مضامينه وتجاوز أطره الوقائعية. وهو ما قامت عليه الفلسفة المعاصرة عموماً إذا اعتبرنا مسعى البخاري حمادة في مقارنته للنص الثوري الجزائري من قبيل فلسفة ما بعد الحداثة التي قامت على الهامش والمقصي من تاريخ الفلسفة، وذلك من خلال اشتغالها على موارد جديدة ليست من نسقها وهو ما يُعرف بـ اللا-فلسفي من الفلسفة بحيث ظلت «الفلسفة قد قصدت دوماً من ناحيتها أن تظل على علاقة بما هو غير فلسفي، بل بما هو خارج الفلسفة» (دريدا، 2019، صفحة 10)، وهذا ما قام به البخاري حمادة من خلال سحبه لمتن الثورة الجزائرية إلى ساحة الفلسفة واخضاعها إلى مشروط النقد والتحليل ليتحول فيما بعد إلى متن ذو أبعاد متعددة منفتح على ثلاثية الماضي والحاضر والمستقبل. كل ذلك خدمةً للذات الجزائرية وخدمةً للتاريخ والهوية كما يقول محمود أمين «الهوية هي السمة الجوهرية العامة لثقافة مجتمع من المجتمعات، وأرى أنها ليست أقنوماً ثابتاً جاهزاً نهائياً، وإنما هي مشروع مفتوح متطور في المستقبل أي متشابك متفاعل مع الواقع والتاريخ.» (العالم، 2000، صفحة 102-103) فكلما كان الانفتاح على التراث بعيون نقدية فاحصة ومُصلحة غير مرتابة ومشككة، حصل ما يمكن أن نسميه بالتصالح مع الذات واستيعاب كل تعددية واختلاف، الأمر الذي قامت به العديد من الدول في إعادة قراءة تاريخها من

جديد لتصبح تلك القراءة بوصلةً للراهن والمستقبل على غرار ما قامت به دولة اليابان التي أيقنت أن البحث في التاريخ هو بحثٌ في الحاضر، وانتقال من البعد السكوني نحو الحركي للأحداث، حيث تستبدل كل ما هو جامد بما هو حي، وكل ذكرى بفكرة. ولعل ما يؤكد هذا التوجه قول ش. بيرد « إن كل الثورات الحديثة التي هزت الأرض وجدت حوافرها وتبريراتها في فلسفات التاريخ » (حمانه، 2012، صفحة 247).

إن العبرة من القراءة الفلسفية للتاريخ هو تحريك الوعي الفردي والجماعي لإنتاج حاضر متين يقوم على فكرة الاستيعاب والاعتزاز، وصولاً لإعادة بعث الثورة من جديد، لكن هذه المرة ستكون ثورة وعي وفكر وتحرر وتشيد. وبالتالي هي ثورةٌ على الثورة لتصبح ثورة متكاملة الأركان، وهو ما ذكره البخاري حمانة في مسألة وعي الشعوب من «مرحلة التقبل السلبي للواقع المزري إلى مرحلة التحمل الإيجابي» (البخاري، 2005، صفحة 34)؛ وهذا المفهوم يدافع عنه البخاري باستمرار حتى تُفهم الثورة الجزائرية ليس فقط كحدث وطني أو ديني أو كامتداد لحركات تحررية في الحرب العالمية الثانية، بل كتجربة جزائرية أصيلة متجذرة في الوعي الجمعي.

على هذا الأساس، تنتهي لكتابة البخارية للسياق الفلسفي المعاصر حيث بدأت الفلسفة تتحرر من الإطار الأكاديمي الصارم، لتشتغل على كل ما هو هامشي ومقصي كالفن، والسينما، والمسرح، والتاريخ والرواية ونحو ذلك. من هذا المنطلق، يُقارب البخاري حمانة النص التاريخي للثورة الجزائرية باعتباره مادةً قابلةً للتحليل الفلسفي، إذ تتضمن دلالات تتجاوز السرد، لتُضيء الأبعاد الغائبة في الفعل التاريخي، وتلك صنعة الفيلسوف لا المؤرخ. فبينما يُركّز رجل التاريخ على السرد الوقائعي، ينشغل الفيلسوف بتأويل الحدث من المنظور الكوني المجاوز لمنطق الزمكان.

3. فلسفة الثورة الجزائرية عند البخاري حمانة

يُبرز البخاري حمانة، في أطروحته الفلسفية، الدور الحاسم للفكر الفلسفي في بناء مشروع نهضوي أصيل، حيث لا تنفصل الفلسفة عن الواقع بل تنبع منه وتعود إليه. وبالتالي في نظره « الفلسفة بصورة من الصور، صناعة للمفاهيم. » (مسرحي، 2020، صفحة 59) وليست ترفاً فكرياً أو خطاباً تجريدياً يتعالى عن شرطية الزمان والمكان بل هي في جوهرها فعلٌ نقدي وإرادة تغيير، وهي البداية التي يُمكن من خلالها تفكيك البنى الذهنية المتأكلة وبناء رؤى جديدة تُؤسس لنهضة حقيقية. إنها النواة الأولى لكل تحول

تاريخي عميق، ولعل هذا التصور يتقاطع مع ما عرفته الفلسفة الغربية الحديثة التي لم تنشأ في فراغ، بل جاءت كثمرة لمكابدات معرفية وأخلاقية خاضها فلاسفة أمثال رينيه ديكارت (1596-1650) René Descartes وفرانسيس بيكون (1561-1626) Francis Bacon، وباروخ سبينوزا (1632-1677) Baruch Spinoza، وإيمانويل كانط (1724-1804) Kant، جورج هيغل (1770-1831) Georg Wilhelm Friedrich Hegel، وكارل ماركس... (1818-1883) Karl Marx وفريدريك نيتشه (1844-1900) Friedrich Nietzsche وغيرهم كثير من فلاسفة الغرب. فكل واحد من هؤلاء بدأ بتحرير الذات من القيود الدوغمائية الدينية والسياسية والأخلاقية، ليصل إلى بناء جهاز مفهومي قادر على تغيير الوعي، ثم تغيير الواقع. تلك المكابدات الفردية تحولت لاحقاً إلى مكابدات جماعية وعبدت الطريق لما يُعرف بالحدث الأوروبي وفلسفة التنوير.

غير أن البخاري حمادة لا يدعو إلى استنساخ التجربة الغربية، ولا إلى تأليه العقلانية المنفصلة عن الحياة اليومية، بل يؤكد على ضرورة أن تنبع الفلسفة من السياق المحلي، من معاناة الإنسان في واقعه المحسوس، من آلامه وأشواقه، من تاريخه ومخيلته وموروثه الديني، فالفكر الفلسفي الذي لا يلامس الحاجات الفعلية للناس، ولا يستنطق معاناتهم، يظل مشروعاً نخبياً معزولاً عن التجربة، يُعاني من غربة ثنائية الأقطاب: الأولى غربة عن الواقع والثانية غربة عن الذات. من هنا، يتموضع الفيلسوف من منظور البخاري حمادة لا كمؤرخ أفكار أو شارح مفاهيم، بل كفاعل ثوري يضع الفكر في خدمة التحرر، ويجعل من التأمل أداة للإبداع، تماماً كما تصوّر ابن باجة في تمييزه بين الفيلسوف الحقيقي والفيلسوف الهرج، فالأول مشغولٌ بالحقيقة والعمل، والثاني مسكونٌ بالمظاهر والألقاب. فالفيلسوف الأصيل عند البخاري ليس منعزلاً في أبراجه العاجية، بل منخرط في الزمن الجماعي، ومشارك في الفعل، ومؤمنٌ بأن كل فكرة لا تُترجم إلى عمل، وكل تأمل لا يولد تحوُّلاً هو نوع من الخيانة للذات وللوطن، فالحضارة كما يتصورها البخاري حمادة تستدعي البر والوفاء، والتضحية والالتزام، أقرب لمسلك مالك بن نبي الذي رأى بأن الحضارة هي «عملية تركيب دقيقة بين الإنسان والتراب والوقت على فكرة دينية» (نبي، 1986: صفحة 50)؛ فكما يرى مالك بن نبي أن الفكرة الدينية هي التي حوّلت العرب من جماعة هامشية إلى أمة فاعلة، كذلك يرى البخاري حمادة أن الروح الثورية للثورة الجزائرية تمثل جوهر هذه الفكرة عندما تتجسد في الواقع، وأن استئنافها يبدأ باستئناف

شروطها الفكرية والروحية، لذلك يستشهد البخاري حمانة بالبعد الديني للثورة وكيف أنها قامت على فكرة الجهاد و"الله أكبر".

من هذا المنظور، تُصبح الثورة الجزائرية ليست لحظة منتهية، بل صيرورة جدلية بين الفكر والعمل، بين التأمل والممارسة، بين الذاكرة والمستقبل. وهي صيرورة تستدعي إعادة النظر في أدواتنا المعرفية، وفي وظائف الفلسفة داخل المجتمع، بحيث لا تُفهم الفلسفة كترف معرفي، بل كضرورة حيوية، وكحركة داخل الوعي الجماعي، وكطاقة قادرة على تحرير الإنسان من كل أشكال الهيمنة الاستعمارية. وهكذا، تتحول الفلسفة في مشروع البخاري حمانة إلى ممارسة مقاومة تعيد تشكيل الإنسان ككائن فاعل في التاريخ، وليس مجرد كائن متلقٍ وتابع، وهنا يكمن الرهان الأساسي لأي نهضة مستقبلية.

فإذا كانت الفلسفة، كما يراها البخاري حمانة، تعني الفعل المحرر، فإن الثورة بوصفها لحظة تحول جذري، هي إعادة تأسيس لهذا الفعل على أسس جديدة نابعة من السياق التاريخي والثقافي للمجتمع. وفق هذا المنظور تتحول الثورة إلى إعادة بناء الواقع من خلال رؤية نقدية تُمارس التاريخ بدل أن تكتفي بسرده، حيث تجسدت هذه الرؤية في الثورة الجزائرية إذ لم تكن مجرد انتفاضة مسلحة ضد استعمار دام أكثر من قرن، بل كانت مشروعاً فلسفياً وسياسياً أُعيد فيه الاعتبار للإنسان الجزائري كذات فاعلة، وكشعب له القدرة على تقرير مصيره بنفسه، فقد كانت الثورة في عمقها فعلاً تأسيسياً يهدف إلى بناء دولة وطنية ذات سيادة وكرامة تقوم على مبادئ العدالة الاجتماعية، والهوية الجزائرية، والانتماء للدين الإسلامي. وهنا يتبدى البعد الفلسفي كفعل تحرري لم يكن فقط رد فعل على القمع، بل وعياً عميقاً بضرورة القطيعة مع الاغتراب والاستيلاء.

4. فلسفة الثورة ونقد الاستعمار

يعارض البخاري حمانة القراءات التبسيطية التي تختزل الثورة الجزائرية في أنها ثورة جياح أو ثورة غوغاء، وهي قراءات روج لها الخطاب الاستعماري. لذلك يستند البخاري إلى بيان أول نوفمبر بوصفه الوثيقة التأسيسية التي تبرز طبيعة الثورة كفعل واعي ومؤسس، ففي هذا البيان نجد تصوراً متكاملًا للدولة المنشودة، ومبادئ توجيهية للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية بعد الاستقلال «بذلك كان نوفمبر بالنسبة للمستعمر أشبه بالهزة النفسية العنيفة المؤذنة ... ببداية مرحلة جديدة من هزات فكرية ونفسية، قبل أن تكون

عسكرية وسياسية» (البخاري، 2005، صفحة 108)؛ وهكذا، تُصبح الثورة فعلاً منظماً ومقصوداً، تتحد فيه الرؤية مع الممارسة، ويصبح الفكر أداةً للتحرر.

في هذا السياق، يُوظّف البخاري حمّانة مصطلح «الفلسفة الثورية» (البخاري، 2005، صفحة 191)، لا للإشارة إلى مدرسة فكرية بعينها، بل للدلالة على الطابع الجدلي العميق الذي يربط بين النظرية والممارسة، وبين تحرير العقل وتحرير الأرض. فالثورة لا تقوم بالتنظير المجرد أو الحماسة العاطفية، بل بتكامل الوعي الفردي والجماعي مع الفعل الجماهيري المنظم. بهذا المعنى، لا تكون الفلسفة تفسيراً لما هو كائن فقط، بل دعوة إلى ما ينبغي أن يكون بتكامل الوعي الفردي والجماعي مع الفعل الجماهيري المنظم. بهذا المعنى، لا تكون الفلسفة تفسيراً لما هو كائن فقط، بل دعوة إلى ما ينبغي أن يكون. وهنا يتقاطع طرحه مع الفكرة المركزية التي عبّر عنها حنة أرنت (Hannah Arendt 1906–1975) حين قالت: «النهاية الطبيعية للعصيان هي التحرر، أما نهاية الثورة فهي تأسيس الحرية». (Berkowitz, 2011) وتظهر الثورة هنا كفعل مؤسس للحرية، لا كاستجابة عابرة للقمع، بل كمشروع يعيد تنظيم الحياة وفق وعي جديد. وانطلاقاً من هذا الفهم، يرى البخاري حمّانة أن الثورة الجزائرية لم تكن مجرد مواجهة مسلحة، بل فعلاً تحريراً شاملاً، يواجه مشروعاً استعمارياً هدف إلى تفكيك الهوية وطمس الذات الجماعية.

على هذا الأساس يُبرز البخاري حمّانة خصوصية الفرد الجزائري مقارنة بنماذج استعمارية أخرى، فالمستعمر الفرنسي بخلاف المستعمر الإنجليزي الذي ركز على الهيمنة الاقتصادية، بحيث جاء المستعمر الفرنسي حاملاً لمشروع إيديولوجي وثقافي تفكيكي لكل مقومات الشعب الجزائري، تحت ظل شعارات من قبيل الحداثة والتنوير. لذلك، رأى البخاري أن مواجهة هذا المشروع لم تكن ممكنة إلا من خلال ثورة مضادة تكون فكرية وروحية بقدر ما هي سياسية وعسكرية أي ثورة بوصفها تمرد على السائد وإصلاح جذري لكل دوائر المجتمع الجزائري آنذاك، إذ أرادت فرنسا تحويل الشعب الجزائري إلى مجرد مستهلك لثقافتها الدخيلة، بينما أراد الجزائريون استعادة ذاتهم قبل أرضهم.

لهذا، لا يرى البخاري حمّانة في الثورة الجزائرية مجرد مواجهة بالسلاح بل صراعاً بين رؤيتين للعالم، رؤية استلابية تزعم التقدم والتمدن لكنها تستبطن نفي الآخر، ورؤية تحريرية تنبع من الذات وتسعى إلى بناء إنسان جديد. وفي ظل هذا الصراع، لا يكون النصر عسكرياً فقط، بل عبر معيارية الوعي لما كان عليه الوضع وما ينبغي أن يؤول إليه. هكذا

تصبح الثورة الجزائرية عند البخاري حمانة نموذجاً لصيرورة تحرر فكري ووجداني، يُراد له أن يستمر بعد الاستقلال كمنهج ومشروع لبناء الحاضر واستشراف المستقبل، لا مجرد لحظة بطولية أوقفها التاريخ عند لحظة زمنية معينة. فالثورة لا تنتهي إلا عندما ينتهي الاغتراب، ويولد الإنسان الحر في اللحظة التي يكون فيها قادراً على التفكير والعمل، وهذا الطرح أقرب لمنظور الفيلسوف الألماني هيجل الذي رأى «أن كل ما هو عقلي واقعي، وكل ما هو واقعي عقلي» (امام، 1985، صفحة 29)، وهو مبدأ يشير إلى أن الفكر ليس مرآة سلبية تعكس العالم، بل هو قوة مُنظمة تُعيد تشكيل الواقع من جديد، وتحمله إلى أفق بعيد. ضمن هذا المنظور، تصبح الثورة تجلياً لفكرة عقلانية تتبلور في التاريخ، والفلسفة هي الأفق النظري الذي تنبع منه الثورة وتعود إليه. وعليه، فإن الثورة والفلسفة ليسا مسارين منفصلين، بل هما وجهان لجدلية واحدة، فلا يمكن تصور ثورة دون أساس فلسفي، ولا يمكن تصور فلسفة لا تمس البؤس الإنساني والتاريخي.

إذاً، فإن فلسفة الثورة عند البخاري هي مشروع مضاد لفلسفة الاستعمار وليس مجرد فلسفة تسعى إلى تفكيك منظومة الاستعمار المادية، بل تُعارض مشروعاً ابستمولوجياً كاملاً حاول أن يُؤطر الوعي الجزائري وفقاً لمقولات المُستعمر، فالاستعمار لم يكن مجرد عنف خارجي، بل كان عنفاً رمزياً ومعرفياً غايته نزع المعنى من الإنسان المُستعمر، وتحويله إلى كائن خاضع لتصورات الآخر. في المقابل، فإن الثورة الجزائرية – كما يراها البخاري – هي لحظة استرداد للذات من التشويه المعرفي والاعتراب الرمزي. فهي ليست رد فعل تاريخي فقط، بل تأسيس جديد للوجود الإنساني يهدف لتحرير الإنسان من كل أشكال القهر المضمر والمعلن. فالثورة لم تكن مجرد انفجار مسلح، بل لحظة وعي فلسفي ترتقي من مجرد الرفض إلى التأسيس، ومن المقاومة إلى إعادة بناء الكينونة الجماعية على أسس حرة. وقد انتبه الأستاذ البخاري إلى مسألة "الحاضر" كعنصر محدد للوعي التاريخي برمته، شريطة أن «تفهم الحاضر لا باعتباره سكوناً أو كينونة واستقرار، لأن ذلك مستحيل ما دام أن كل حاضر ممتزج باللحظة التي سبقتة وباللحظة التي تليه.. أي بالماضي القريب والمستقبل الوشيك. فالحاضر بهذا المعنى هو شرط إمكانية الوعي بالماضي وبالمستقبل أي محصلة التجربة التاريخية للأمم والشعوب» (دومة، 2022، صفحة 36).

5. الأسس الفلسفية للثورة الجزائرية

ينظر البخاري حمادة إلى الثورة الجزائرية بوصفها فعلاً فلسفياً بامتياز انطلقت من معاناة واقعية وشروط تاريخية قاهرة، لكنها لم تكن مجرد انتفاضة على الاحتلال، بل مشروعاً أنطولوجياً وأخلاقياً ووجودياً يسعى إلى إعادة تعريف الذات الجزائرية. من هنا تتأسس عنده ثلاثة أبعاد مركزية تمثل الأسس الفلسفية للثورة، حيث يمثل البعد الأول في أنه لا توجد ثورة عبر التاريخ إلا وقامت على أرضية فلسفية ما، لأن الفعل الثوري لا ينبثق من فراغ، بل من وعي نقدي بالواقع وبالإمكانات الكامنة لتجاوزه. إلا أن البخاري لا يقصد بالفلسفة تلك المُخلقة في سماء المثاليات، بل الفلسفة المجدّرة في الشروط الاجتماعية والتاريخية للذات المحلية التي تعاني الواقع وتنتج مفاهيم من قلب المعاناة، وهي فلسفة تعمل على تفكيك البنى المهيمنة وتعيد بناء العلاقة بين الإنسان والعالم. بينما يتجلى البعد الثاني في اعتبار أن الثورة كصيرورة تاريخية في الوجود، بحيث لا يكفي أن نقرأ الثورة كحدث وقع وانتهى، بل يجب أن نفهمها كمجال مفتوح على الاستمرارية، حيث تتفاعل فيه ثلاثية الزمن الماضي والحاضر والمستقبل. لذلك لا تمثل قراءة البخاري للثورة الجزائرية نوعاً من الترف الفكري، بل هي محاولة فلسفية لإعادة شحن الحدث الثوري بطاقة تأويلية تجعل منه مرجعاً لتوجيه الفعل في الحاضر بينما يتمثل البعد الثالث في المنهج الاستمولوجي لفهم الحاضر، بحيث لا يتوقف اهتمام البخاري بالثورة عند استعادة أبعادها التاريخية، بل يُفعّلها في أفق سياسي وفلسفي راهن، حين يُسأل من خلالها قضايا مثل الهوية، الذاكرة، العدالة، والدولة. بهذا المعنى تصبح الثورة نموذجاً تأويلياً لفهم الذات الجماعية انطلاقاً من أسس الفلسفة الثورية باعتبارها الحقل المعرفي القادر على تحليل البنى الرمزية والاجتماعية التي تؤطر الصراعات الراهنة. وعليه فإن مفهوم الثورة عند البخاري ليست لحظة تحرر، بل مشروعاً مستمراً لبناء الذات والتاريخ من جديد.

انطلاقاً من هذه الأبعاد الثلاثة: الفكرة، الغاية، والمعنى، يُشيد البخاري حمادة متناً فلسفياً عميقاً يُقارب من خلاله الثورة الجزائرية لا كأرشيف بل كمفهوم ليُحقق تجاوزاً مزدوجاً يتخطى المقاربات التوثيقية التي تحبس الثورة في الماضي فقط، كما يتجاوز القراءات الفلسفية المجردة التي تكتفي بالتأمل دون الانخراط في الواقع، ولهذا يؤكد البخاري في حوار مع الماركسية اللينينية، «أنه إذا كان لا وجود لثورة بدون نظرية ثورية، كما ذهب لينين فإنه لا وجود لنظرية ثورية بدورها إلا من خلال التنظير» (البخاري، 2005،

صفحة 52)، وبالتالي، فإن البخاري حمّانة لا يرى في الثورة الجزائرية مجرد لحظة تاريخية مشروطة بصراع استعماري بين مستعمر ومستعمر، بل يتعامل معها بوصفها فعلاً كونياً يتجاوز حدود الجغرافيا والتاريخ، ويُجسد إمكاناً وجودياً لإنسان يسعى نحو التحرر الكلي، لا من الاستعمار فحسب، بل من كل أنماط القهر والإخضاع الرمزي والمعرفي. في مؤلفه "فلسفة الثورة الجزائرية" ينظر البخاري حمّانة إلى الثورة بوصفها نصاً فلسفياً مفتوحاً يحمل في داخله دلالات أنطولوجية تتعلق بكرامة الإنسان وبحريته، وهويته، بل وبمعنى التاريخ ذاته، بحيث لا يُختزل الإنسان الثوري المناضل إلى كائن مقاوم بالسلاح فقط، بل يتحول إلى ذات تفكر وتؤسس لفعالها انطلاقاً من وعي عميق بمصيرها. لذلك، يرى البخاري أن الثورة لا تُفهم إلا إذا أُعيد بناؤها كمفهوم، لأن الحدث وحده لا يكفي، بل يحتاج إلى تأويل فلسفي يحفظ روحه ويوجه آثاره عبر الزمان.

6. فلسفة الثورة الجزائرية وسؤال الجدوى

لا شك أن القارئ لما سبق من هذا المقال سيجد نفسه أمام سؤال مركزي يفرض ذاته بإلحاح والمتمثل في ما الجدوى وما الغاية من الحديث عن الثورة الجزائرية من زاوية فلسفية؟ أو بصيغة أخرى، ماذا يمكن أن تقدمه القراءة الفلسفية الحسانية للثورة الجزائرية في سياقنا الراهن؟ الجواب على هذا السؤال لا يمكن أن يكون مباشراً، بل يستدعي العودة إلى طبيعة الفلسفة نفسها، بوصفها بحثاً عن المعنى وسعيًا لفهم ما يتجاوز اللحظة. إذ ليست الفلسفة ترفاً نظرياً، بل لحظة من لحظات الوعي والقبض على المعنى، والمعنى هنا هو ما يجعل من الثورة الجزائرية تجربةً تتجاوز حدود الجغرافيا والتاريخ لتصبح لحظة كونية تتأسس في الوجود، فالقراءة الفلسفية للثورة لم تكن يوماً عبثاً أو شكلاً من أشكال الترف الفكري، بل هي إعادة بعث لروح الثورة في زمن ما بعد الاستقلال، حيث تحولت الثورة – في كثير من الأحيان – إلى مجرد سرديّة محفوظة أو رمزية مفرغة من دلالات الحرية والتحرر.

لقد كان ذلك النسيان جزءاً من سياسة استعمارية ممنهجة استهدفت ضرب الذاكرة الجماعية وطمس الوعي بالذات، وهو ما يُلْمَح إليه أبو القاسم سعد الله في وصفه للهجمة الفكرية على المجتمع الجزائري، إذ يقول: «والمقصود من فرض من أجل فرض الجهل وطمس اللغة العربية وثقافتها واحلال اللغة الفرنسية وثقافتها محلها. كما أن روح الجمود قد ازدادت انقباضاً وانكماشاً أمام الهجمة الفكرية الاستعمارية، فكان الهروب الى الزوايا

والتصوف من جهة، وكان النسيان والاندماج في ثقافة المحتل من جهة أخرى» (القاسم، 1998، صفحة 7_8) ومن هنا، فإن القراءة الفلسفية للثورة تصبح ضرورة لا مجرد تأمل، لأنها تمنح التاريخ روحه وتعيد ربط الفعل بالمعنى. فإذا كان التاريخ هو النص، فإن الفلسفة هي الأرضية التي تمنحه الحياة والاستمرار. ومن دون هذا البعد، تظل المقاربة التاريخية قاصرة عن استيعاب ما تُحيل إليه الثورة من معاني تتجاوز الراهن فالمسائل الكبرى التي تثيرها الثورة من قبيل الذاكرة، والمخيال، والهوية، والتحرر والعودة إلى الذات، لا يمكن فهمها إلا عبر مساءلة فلسفية، تتجاوز السرد نحو الفهم، وتتجاوز الحدث إلى الفكرة، وهو ما ركز عليه البخاري حمادة في كتابه فلسفة الثورة الجزائرية، بحيث لم تكن فعلا سياسيا فقط، بل كانت اعتقا من الخوف، وميلادا للكينونة الجزائرية.

«أليس جديرا بنا أن نعيد طرح السؤال الذي طرحه الرئيس الراحل محمد بوضياف في ستينيات القرن الماضي: إلى أين تسير الجزائر؟» (مسرحي، 2020، صفحة 61)

في قلب هذا التصور الفلسفي للثورة، يبرز سؤال الهوية بوصفه الغاية الأعمق لكل حركة تحررية، إذ تعد من بين «مشاكل الثقافة العربية على الإطلاق، ويعيش الفرد العربي تمزقات نفسية واجتماعية وسياسية كارثية» (مهنانة، 2011، صفحة 104). لكن مفهوم الهوية عند البخاري حمادة ليست جوهرًا ثابتًا أو مادة خام، بل هي فعلٌ متجدد، وقوة ديناميكية حية تنشأ من خلال الفعل الثوري الجماعي، وتتموضع في سياق الصيرورة التحررية من كل أشكال السلطة سواء الداخلية أو الخارجية المتحررة من هيمنة الايديولوجيا. والهوية التي لا تتحرر من الايديولوجيا، تظل أداةً في يد الآخر، وتفقد قدرتها على إستعاب الجميع. إن الايديولوجيا، كما يشير إليها البخاري حمادة، هي مرتبطة بمرحلة تاريخية معينة، أما الهوية فهي مشروع مستقبلي، تتجاوز الجماعة نحو الأمة، وتتحول من انتماء ضيق إلى مشروع الدولة الوطنية. صحيح أن سؤال الهوية هو وليد سياق «الحدثة ولا يحتكم لأي سلطه غير سلطة الدولة» (المسكيني، 2011، صفحة 14) والجزائريين في السابق لم تكن لديهم هوية وطنية وسياسية واضحة، حيث كانت الهوية مشتتة بين العصبية القبلية (بتعبير ابن خلدون)، والانتماء الديني تحت إشراف الزوايا، والارتباط بالأرض كمعطى وجودي. غير أن التجربة الاستعمارية ساهمت في بلورة الوعي الوطني، إذ أدت سياسات الإقصاء إلى تشكّل وعي مضاد، ففي قلب الاستعمار يولد الوطن والانتماء.

ما الجدوى من الفلسفة إذن؟ إنها تُنقذ الثورة من التكلس، وتعيد ربطها بأسئلتها الأصلية كسؤال المعنى من نحن؟ وماذا نريد أن نكون؟ والفلسفة هنا كما عند البخاري حمانة، لا تكتفي بأن تكون تأملاً في الماضي، بل استشرافاً للمستقبل، وسؤالاً عن المصير. إنها دعوة لممارسة نقد الهوية، ونقد السلطة ونقد الذاكرة، حتى لا تنقلب الثورة إلى ضدها، في هذا السياق، يمكن الاستدلال بما أشار إليه عبدالله شريط، إذ يرى أن مهمة الفلسفة في المجتمعات المتخلفة تتمثل في: «محاربة الاتباعية الفكرية، وهي اتباعية تتم عن طريق غير فكري إطلاقاً» (شريط، 198، الصفحة 6).

وهكذا يصبح الحديث عن الثورة الجزائرية برؤية فلسفية ضرورة حتمية لبناء نسق متكامل للدولة الجزائرية ذات السيادة الوطنية الضاربة في أعماق التاريخ، تشهد عليها تربتها المسقية بدم الشهداء الخالدين.

7. خاتمة:

تقدم مقارنة البخاري حمانة للثورة الجزائرية نموذجاً فلسفياً متجدداً يتجاوز النظرة التقليدية التي تحصر الثورة في مجرد حدث سياسي أو تاريخي محدد في أقوال الزمان والمكان، فالثورة في تصور البخاري حمانة ليست فقط مواجهة مع قوى الاحتلال والاستعمار، بل هي تجربة وجودية وإنسانية شاملة تُعيد تشكيل الذات الجزائرية بشقيها الجمعيّة والفردية، وتعيد تعريف العلاقة بين الإنسان وتاريخه، بين الفكر والفعل، بين الماضي والحاضر والمستقبل، وتُجسد هذه المقاربة فلسفة الثورة كصيرورة جدلية تتفاعل فيها الأفكار مع الأفعال مما يجعل الثورة ليست حالة عابرة أو لحظة انفجار، بل حركة مستمرة في بناء الوعي والتحرر والتغيير، وهنا يكمن التميز في رؤية البخاري حمانة الذي حول نص الثورة الجزائرية إلى متن فلسفي ينبض بالحياة، يحمل في طياته قضايا الحرية والكرامة والهوية، ويقدمها كإرث فكري دائم ينبثق من رحم التاريخ ليكون بوصلة للمستقبل.

في النهاية، لا يقدم البخاري حمانة مجرد تحليل فلسفي جامد، بل يرسم خارطة طريق لإعادة بعث الثورة من جديد، ليس فقط كحدث تاريخي مضى، بل كثورة فكرية مستمرة تعيد بناء الإنسان والمجتمع على أسس الكرامة والحرية والوعي، وهي دعوة للثورة الدائمة على كل أشكال القهر والجمود، لتكون الثورة فعلاً حياً، يتجدد ويتطور مع حركة الزمن وروح الإنسان.

1.1 نتائج الدراسة :

- الثورة الجزائرية ليست حدثاً تاريخياً محدوداً بزمن أو مكان، بل هي فكرة كونية تتأسس في الوجود، تعيد إنتاج الذات الجماعية على نحو متجدد ومستمر، مما يجعلها لحظة وجودية تتجاوز حدود الجغرافيا والتاريخ.
- الفلسفة، في تجلياتها الحسانية، ليست ترفاً نظرياً، بل أفق تأويلي يُعيد تفسير الثورة، وينقذها من أن تتحول إلى مجرد سردية جامدة، فهي أداة نقدية تعيد بعث الروح في النص الثوري.
- الوعي الثوري فعل مستمر ومنفتح، يتجاوز مجرد المقاومة العينية ليكون قوة فاعلة في تحرير الذات من كل أشكال الهيمنة الرمزية والمعرفية، وبهذا يصبح الوعي مركزاً للحركة الثورية.
- الهوية ليست جوهرًا ثابتاً أو سلعة جاهزة، بل هي فعل تحرري ديناميكي يتشكل ويتجدد من خلال الاشتغال على الذات والجماعة، في صيرورة مستمرة تكسر الإيديولوجيا وتعيد صياغة الذات ضمن المشروع الوطني.
- الاستعمار، رغم قسوته، يولد وعياً مضاداً، ويخلق في رحم معاناة الشعوب أرضية صلبة لبناء وعي وطني تحرري، فيتحوّل من أداة قهر إلى محفز لصيرورة التحرر.
- الثورة ليست نزاعاً عسكرياً فحسب، بل هي حركة وجودية شاملة تعيد تعريف العلاقة بين الإنسان وتاريخه، بين الفكر والفعل، لتتحوّل إلى تجربة إنسانية تستعيد فيها الذات كينونتها الحرة.
- الثورة هي صيرورة جدلية مستمرة بين الفكرة والفعل، بين الذهن والواقعلا توقف فيها عند لحظة انفجار، بل هي حركة دائمة لبناء وعي متحرر يشق طريقه في الزمان.
- الفيلسوف في خطاب البخاري حمادة ليس متأملاً منعزلاً، بل مناضل تاريخي يربط الفكر بالعمل، يؤسس للثورة فكراً وعياً ينسج واقع التغيير الاجتماعي والسياسي.
- المرجعية المحلية والتاريخية تشكلان الأساس الضروري لفلسفة الثورة، حيث يستمد الفكر قوته من التراث، من المخيال الشعبي، ومن العمق الديني، ليبني فلسفة تنبع من عمق الواقع الجزائري.

• الثورة ليست لحظة تحرر عابرة، بل مشروع متواصل لبناء الذات الوطنية على أسس الكرامة والعدالة والحرية، تستدعي نقدًا مستمرًا للهوية والذاكرة والسلطة لتصبح حركة حياة متجددة تتحدى الجمود والقهر.

قائمة المصادر والمراجع:

- باللغة العربية :
- حنان البخاري، فلسفة الثورة الجزائرية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الطبعة الأولى، 2005.
- حنان البخاري، تأملات في الدنيا والدين: (من أجل فلسفة عربية لتاريخ)، الطبعة الأولى، دار القدس العربي، 2012.
- بالعالية دومة ميلود، البخاري حنان فيلسوف الثورة الجزائرية، دار الوطن اليوم، العلةمة - سطيف، دون طبعة، 2022.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء السابع: 1830 - 1954، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1998.
- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الكتاب المصري، القاهرة، دون طبعة، 1986.
- محمود أمين العالم، من نقد الحاضر إلى إبداع المستقبل، القاهرة، دار المستقبل العربي، الطبعة الأولى، 2000.
- إمام عبد الفتاح إمام، دراسات هيجيلية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، طرابلس، دون طبعة، 1985.
- إسماعيل مهنانة، العرب ومسألة الاختلاف: مآزق الهوية والأصل والسيان، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2014.
- فتحي المسكيني، الهوية والتحرر: نحو أنوار جديدة، منشورات جداول، بيروت، الطبعة الأولى، 2011.
- حنة أرندت، في الثورة، ترجمة عطا عبد الوهاب، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2008.
- عبد الله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1981.
- فارح مسرحي: الفلسفة في الجزائر (الدرس والنص)، دار الوطن، طبعة 2020.
- جاك دريدا، هامش الفلسفة، ترجمة منى طليبة، دار التنوير، بيروت، 2019.

(أ) باللغة الأجنبية:

- 1) Roger Berkowitz, "The Spirit of Revolution," Hannah Arendt Center for Politics and the Humanities, Bard College, November 14, 2011
<https://medium.com/quote-of-the-week/the-spirit-of-revolution-4614b3a0549c>